

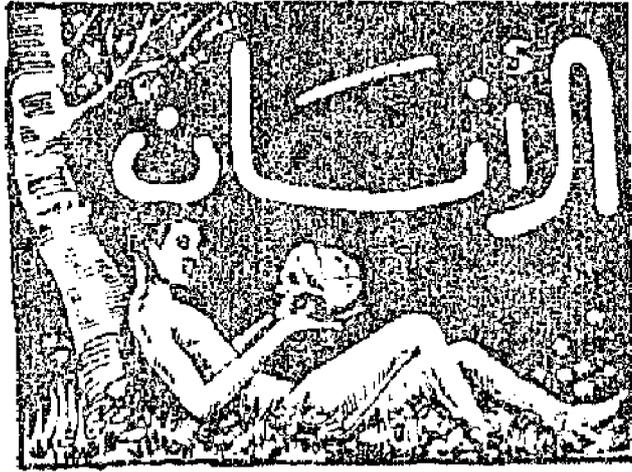
فايز صبيح

استاذ علوم في الفلسفة

نداء الأعمق

نظرات في الإنسان والوجود

دار الفكر - بيروت
أغسطس ١٩٤٧



MAN

Placed | on this | isthmus of a middle state,
A | being darkly wise and rudely great,
With too much knowledge for the sceptic side,
With too much weakness for the stoic's pride.
He hangs between; in doubt to act or rest,
In doubt to deem himself a god or beast;
In doubt his mind or body to prefer;
Born but to die, and reasoning but to err.

Created half to rise and half to fall,
Great lord of all things, yet a prey to all;
Sole judge of truth, in endless error hurled,
The glory, jest, and riddle of the world.

Pope, *Essay On Man*.

مقدمة

في الأسس الفلسفية لهذه النظرات

... وانصح القاريء ألا
يقرأ هذه « المقدمة » إلا
بعد أن يفرغ من قراءة
الكتاب بكامله ...

العصر الذي نعيش فيه عصر تناقض صاخب، وتنوع متنافر،
في المثالم والمثابيس، في القيم والمعايير، في المقولات والنظرات :
وليست الخصائص الهامة التي تميز هذا العصر، سوى « الخطوط
الكبرى » لنفسيتنا ومفاهيمنا وقيمتنا .

وفي هذا العصر انصبابٌ على الانسان، وتمر كُنزُ اهتمام حوله،
ودأبُ لبلاغ خير الانسان ورفاهيته، وسمي لفهم الانسان ومعرفة
اصوله وتاريخه واجتماعياته وتركيبه الجسدي والنفسي - حتى
لكأن الانسان قد بات محور الانسان نفسه . ومنذ ان انقرضت
القرون الوسطى الاوروبية، واطلت « النهضة الاوروبية »، وما
تبعتها من رقي في العلم (العلم المكتمل في التطبيق)، وما نجم عنها
من نهضات صناعية وتكنيية في الغرب، جعلت الغرب قدوةً
ومسيطرًا؛ وجرت الفلسفة في بنارجها « الانسانية »، منذ ثورة
ديكارت، وانصببت على دراسة « الانسان » و « الاخلاق »
و « المعرفة » (بدلاً من الوجود او اللاهوت)؛ وانبتقت من
صميمها علوم تكاد ان تكون حديثة في التاريخ، كالانثروبولوجيا،
وعلم النفس اسائر تشبهاته، وعلوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد؛
واستقرت الفنون حول الانسان كمحور، لا سيما « الرواية » :
منذ ان اطل « العصر الحديث »، والانسان محور الانسان الاول .
بيد ان هذا التحول نحو انصباب الانسان على الانسان، قد
اتخذ طابعاً مميزاً، له خطوطٌ كبرى عامة، كان من ثمارها القضاء
على الانسان بملء نفسه، ومسخه، وتحويله الى كائن « لا شخصي »
في عالم « لا شخصي » : فقد طغت الاعتبارات التكنيية « الخارجية »
على الاعتبارات « الانسانية » « الداخية »، وسيطرت « المجموعية »

« الفردية »، في تطاحنها الديالكتيكي، على « الشخصية ». واحتمات الحضارة « عمل « الثقافة » و « الكيان الشخصي » وفقر الايمان بالمطلق، واستوت بدلاً منه « نسبية » كالملة في القيم والمفاهيم (نسبية فردية، او مجموعية)، جعلت «السفسطة الكيبانية» لهذا العصر طابعاً عاماً : واصطبغ العلم بصيغة التطبيق العملي، وسُخِّر وسيلة للتنظيم الاقتصادي والسياسي والتقدم الصناعي والتكني والحضاري : ربما الانسان من وعيه او توقه او اهتمامه كل اهتمام بسوى حياته الارضية الحاضرة، وتقلصت مهالي هذه الحياة حتى لبذت من احتمائها كل منظوبات التعالي عن اعتبارات التقدم الحضارية التكنيية : وتبددت «وحدة» الانسان و«شمول» حياته و«انسجام» اهتماماته، فبرز في موضعها «تخصص» و «انصباب» على الجزئيات، وتجزُّر لهذه الجزئيات في «دوائر» من العناية والتعقيق مستتمة، جردت كلاً من هذه الدوائر عن الاحريات، في اسسها ومقاييدها وغاياتها، وسلخها عن اطارها الانساني الشامل، وجناها شروناً كالة الاستقلال بعيدة التجريد - فاذا « بالانسان الاقتصادي » و « الانسان التكني » و « الانسان السياسي »، مسخ انسان بأرهب معنى ا

العصر الحالي، اذن، قد جعل الانسان محوداً للانسان : لكنه نظر الى الانسان من زاوية تبدد فيها الانسان واستحال الى مسخ لنفسه . . فكانت حياة هذا العصر، الفنية والشخصية والاجتماعية والمدنية؛ وكانت مؤسساته المتطاولة على عقوبته، تخنقها و«تقولبها»، وتستهيب بانظمتها هي الجامدة على اصالة تدفق الحياة من معين نفسه الداخلية .!

ولا ريب في ان عصرنا كهدا، يحتاج اكثر من اي عصر مضى،
الى نظرة صحيحة للانسان : ينبثق عن مل، كيانه، لا عن تجريده
وإفقاره - وتترف بعلاياته وكرامته، دون ان تقضي عليها وتنقضها
بالابتعاد جها عن اطارها وينبوعها - ونصب على الانسان فلا تقضي
على الانسان من جراء وطأة انصباها

* * *

صرخت الآلهة في الموحى الدلفي، وردد سقراط صراخها،
برسالة النور الى اليونان : « ايها الانسان : اعرف نفسك ! » .
واما عصرنا فبحاجة الى الصرخة توقظه وتوجهه وتعيده الى نفسه :
« ايها الانسان : اكتشف نفسك، وكن نفسك ! » .

الحاجة ماسة الى توجيه الانسان ليكتشف نفسه - نفسه
الاصيلة الداخلية الخلاقة، نفسه « الشخصية »، المطمورة، وسط
شباك « لا انسانية » و « لا شخصية » قد طفت وتعقدت خيوطها، فخنقت
الانسان في وسطها . . . الحاجة ماسة لان يعيد الانسان اكتشاف
نفسه وسط نفسه، ويميز بين نفسه الزائفة ونفسه الاصيلة .

الحاجة ماسة الى توجيه « جديد قديم » للانسان نحو الانسان،
وإلى مفهوم للانسان « جديد قديم » - مفهوم « ازلي » لانه حق، وحق لانه
ينبثق عن واقع الانسان .

الحاجة ماسة الى فهم صحيح للانسان كإنسان، ككل شامل :
مثلون العناصر، متعدد القوى والنشاطات، لكنه واحد الذاتية،
منسجم الانسانية، تستوي عناصره وقواه ونشاطاته، رغم تباينها،
على صعيدها . الحاجة ماسة الى فهم صحيح للانسان : الفني في تعدد
الوان نفسه، الفني في انسجام هذه الالوان - لا كتنجريدات

وهي، تنتصب مستقلة، منسلخةً عن اطارها العام وعن اخواتها!
الحاجة ماسة الى اكتشاف الانسان في الانسان، بعد ان تبدد الانسان
وبرز بدلاً منه المواطن او الكائن الاقتصادي او الاجتماعي، او
العقل المحض او الشهور المحض او الفرائز المحض!

الحاجة ماسة الى نظرة صحيحة للانسان، لا تجرد الانسان عن
اطار الوجود العام، الذي يستقر ضمنه، ومعه يتفاعل، ومن ضمن
تفاعله معه يحقق نفسه: بل تشدد على هذا التفاعل، وتعيد الانسان
بشكل حي الى اطار الوجود المتردد صدهاء في نفسه، لتتيح له
تحقيق انسانيته دونما بتر او مسخ او عقم . . . ما الانسان دون
الله، ينصب نفسه لنفسه صنماً، ويعمل من دولته او طبقة اقتصادياته الهماً؟
ما الانسان دون الروح، والحق والخير والجمال، يهدأ على الحضارة
التكثيية، يصر في عمره في الاستراادة من دقتها، فتسخره لمقتضياتها،
وتدوسه عجالاتها، بدلاً من ان يسخرها وسيلة ليسهل على نفسه
العودة الى نفسه؟ ما الانسان دون المحبة، الشاملة الفياضة - يحد
ولاءه في رقعة من ارض او قبضة من ناس، ضمن جدار لا يتعداه
الا بالكرهية والمداء والنقمة والحرب؟!

الحاجة ماسة الى اكتشاف العالم الداخلي، الذي فيه يقوم الانسان
الصحيح، فيه تنشأ الاختبارات الروحية الاصيلية، فيه تبرز المحبة
والايمان والبطولة والابداع، فيه الانفعالات والاحاسيس والشهور،
فيه الوعي، فيه الحالات الكيانية الثرية التي تجعل منه انساناً - بدلاً
من ان يضيع في نطق خارجي «لا انساني»، تطاق من الاشكال
والقوالب والانظمة الجامدة، افاقدة الاصالة والعفوية . . .
الحاجة ماسة الى اكتشاف الكيان الشخصي : « الشخصية »

التي لا تفرض ولا تدوب ولا تندمج، بل تتمسب ككياناً ثابتاً.
مستقر «الذاتية» و «الانوية» حراً، مثلاً يجب المصير :
تفتح على «الغير» و «تفيس» على الغير، ولكنها كشخصية
تفتح و كشمسية تغبض، فلا تهبط «عزاتها» ولا ينسب
ثرائها، بل تزداد غنى كشمسية في الانفتاح والفيض، وتزداد
عزلة في عطائها واخذها : «الشخصية» تنطوي على اللمفة
«لدوى» «الآخر» كمنصر من صميم كيان ذاتيتها؛ تنطوي
على اللمفة الفيض والمطاء، والايخذ والانفتاح، كمنصر من صميم
عناصر عزتها وشخصيتها! الشخصية الفريدة، لا تتساوى
مع الغير في فذوذيتها!

الحاجة ماسة الى اكتشاف «المناطق» في القيم : لا نشره
«النسبية» ولا يبدد قوسية اطلاقه تجليبه في اوضاع مختلفة
وباشكال مختلفة .

ان الحاجة ماسة الى اكتشاف هذا الانسان : «الشخص»
في اعق معالي شخصيته .

ولئن كانت الحاجة ان التشديد على «الشخص» تقوم في
كل زاوية من زوايا حياة الانسان، فاعل زاوية الاجتماعية
ابعدا حاجة، واكثرها الى هذا التشديد افتقارا : اولاً، لان
الاجتماع، كمنصر ثابت من عناصر انسانية الانسان، يلازم هذه
الانسانية، وينبثق عنها، وينمى بعوجيتها، ويؤثر فيها بعوجيته .
وثانياً، لان الاجتماع عرضة لأن يتعلق عتياً في اعتبارات
«لا شخصية»، اعتبارات تنقض قيم «شخصية» وتطأها بفظاظة

وتحطم عزالتها وتقضي على حريتها. وثالثاً، لأن العصر الحالي قد بات
عصراً اجتماعياً في المقام الأول، فبات التشديد على انسانية الانسان،
بالتالي، حريياً به ان يمدى ضمن الزاوية الاجتماعية.

* * *

ولما كنت قد قمت حتى الآن، في تأليفي الاجتماعية الماضية،
بالاشارة الحافظة الى هذه اعم الانسانية، وبالتشديد على
الشخص « كغاية المجتمع وهدفه، كجسم المفسد الاجتماعية،
كوسيلة الاصلاح، وكحاجة الامة الاولى - فقد بات لزاماً علي ان
اقدم هذه النظرات الحالية لشرح مضمون « الانسان الشخص »
في فهمي له، حان فراغي من اختتام السلسلة الاجتماعية من تأليفي
(راجع مقدمة « الطريق ») .

واني اقدمها، لا نظاماً فلسفياً ولا بحثاً متسلسلاً، بل نظرات
خاطفة مقتضية، تستوي في تأملين: اولها يتناول ثنائية الكرامة
والشقاء في الانسان، وثانيها يلمل عناصر الفنى والثراء في وجوده .
اما « الدعوة »، في الختام، فامل في نشرها تناقضاً ومضمونها -
وعذري، في نشرها، انها ليست « دعوة »، بل « شهادة » و« تذكرة » .

فانزهايفر

الباسون - ظهور الشوير

٢٢ أغسطس ١٩٤٧



الإنسان

في الاعالي... وفي الشقاء

ما اربب الانسان

عد الى نفسك ، اجا الانسان !
واكتشف نفسك : في الاعالي
وفي الشقاء !
وانطلق لتحقيق بل . وجودك !

في الأمكنة ...

- ١ -

هلاً وقفت ، في خشوع المتعبد ، تمتع الطرف باليمّ وقد
اتسع واتسع ، عبر حدود الأفق ؟ وبالأفاق وقد امتدت عبر
اللانهاية ؟ هلا راقبت الفلك باتساع أرجائه ، وإحكام
تركيبه ، ومتانة ارتباطه ؟ هلا رأيت نظام الكون في جلانه ،
والغزبية الكون في رهبتها ؟ إلا فاعلم ان في نفسك من الاتساع ،
والعمق ، والغزبية ، ما يحول الكون الى مسخ رهبة وقزم جلال !

○

إذا ما وقفت خاشعاً امام جلال الفلك ، في تراص بنيانه ،
وإحكام تركيبه - فعد الى نفسك تجد ان في ضميرك ،
والزاميته الآمرة ، وعناده الجري ، ووخزه المرير ، جلالاً يهزأ
بالقبة الزرقاء ! وان هنيهة من الحس بالمسؤولية ، واعباتها ،
لا يبلغ سحراً من استمرار بنيان الافلاك مدى الزمان !
وإذا وقفت تنصت الى الطبيعة ، في اهازيج جمالها ، وزغاريد

اجوائها، يبرح بها صمت ناطق رهيب - فعد الى نفسك، تجد
ان في صمتك الزاخر بالاسرار، المستهزي، بإلحاح الناس في
استنطاقه، لنطقاً ابلغ من الكلام والبواح
واذا وقفت امام الجمال يتعمى، في زنبقة شاردة في حقل،
او ازدحام الاشجار في غاب، او انسجام الالوان مدى النظر
في الربيع - فعد الى نفسك، تجد ان الجمال الجمال هو في نفس
ك تتذوق الجمال، وتذقد الجمال من ان يهدر غير وعي. في
طبيعة عمياء.

واذا نظرت الى الهركان يتفجر، فيقذف النار من جوفه،
حمماً حمقاً، مستبدة، تتسابق الى التدمير والافناء - او سمعت زحجرة
الرعد، يدوي في غيظ حقود - او شاهدت الاعصار يتمزق
فيمزق، ويشور فيكتسح ويدتمر، وينطلق حيث يشاء بعنفوان
القوة وتعسف الجبروت : - فعد الى نفسك، تجد ان في
انفجار القبضة من الاحاسيس الحية الخافضة، قوة تمشخض
كالهركان الجبار، كقيلة بنسب تاريخ من الذل، وبناء امة من
الامجاد.

واذا طربت لموسيقى الجداول، لترنم اذ تنساب غنوجاً،
وتتد حرج عابثة بالخصى، مداعبة الحشائش الطوية في رفق،
كياتداعب ايدي المذراء شعرها في وجه النسيم - فعد الى

نفسك ، تجد ان الالمانى ، المدغدة احلامك ، من الموسيقى ما
يهزأ باناشيد الجدول وترنم العنديل ا
واذا نظرت الى الطود ، وفي ضخامته الكهرياء ، وفي
كهريائه التحدى - فعد الى نفسك ، تجد ان في طوحك من
الكهرياء ما يتحدى الطود ويهزأ بها

واذا ما وقفت ، حائراً ، امام اعجوبة النظام في الكون :
نواميس تسيطر على الطبيعة ، وتتبدى في ترتيب بديع وتنظيم
مستقر - فعد الى نفسك ، تجد ان في ايمانك بنفسك ،
واطمئنانك ، كما في لفتك وقلقك ، من الخسوبة والغنى ، ما يعجز
اطمئنان الطبيعة اللاواعي عن بلوغه او الاقتراب منه ا
واذا وقفت ، دهشاً ، امام الغاز الطبيعة واسرارها - فعد
الى نفسك ، تجد فيها من العزم والارادة ، من الحرية تتحدى
الاقدار وتهزأ بعوامل القسر والإكراه ، من الغدوذية في كينونتها ،
او الإبداع في خلقها ، اسراراً تغوص وتغور في هوة انى الأسرار
الطبيعة ان تدنو منها ؟ ا واذا ما وقفت تتأمل في
استمرار الطبيعة عبر الزمان ، عبر الفناء - فعد الى نفسك ، تجد ان في
كل لحظة من لحظات وجودك ، تكون فيها انساناً ، ازلاً
يهزأ بالزمان ا وان في وميض الهنيهة الملمحة ، من الحب ، او
الإيمان ، في نفسك ، فيضاً من الازلية يعجز الزمان كله عن ان

يستوعبه، او يحصره، او يحده في كنهه ومقدار!

واذا ما وقفت، شاكراً، امام الطبيعة السمحاء، تجرد
بالخيرات من جوف الارض - فعد الى نفسك، تجد ان فيها
معيناً من العطاء، يتدفق سخياً بالخيرات، فلا ينضب ولا ينقطع
واذا وقفت تتأمل في نقاء الزنبقة، تنتصب بضّة صافية
في وجه الشمس - فعد الى الانسان، تجد في قلب العذراء من
الصفاء والطهارة، المكتملة بالاخلاص والتفاني، ما تحشع امامه
الزنبقة في حياء، وإزاء بسمة الطفل، في براءة وسذاجة، تدبل
الازاهير وتدوي!

واذا اذهلك تنوع الموجودات، اجناساً وانواعاً، في هذا
الكون الغني - فعد الى نفسك، تلق فيها تنوعاً وتبايناً في
العناصر والقوى، والنوازع والعوامل، المتشابكة المعقدة،
تتضال ازاءه وفرة انواع الموجودات!

واذا وقفت امام معجزة الخلق في الطبيعة، تتوالد
وتتكاثر وتنمو - فانظر الى نفسك، تكتشف ما تشارك فيه
الله من خلق وتوليد وإبداع!

واذا ما هالتك المعجزات في الطبيعة - قرّد الأشياء على
سندنها الجامدة ونواميسها المستبدّة - فعد الى نفسك تجد الحرية،

ومعجزة المعجزات في كيانك : الحرية التي تتبع مشيئتها، في
انطلاق سائب، متى تشاء، وتنصاع طيعةً مختارة متى تشاء،
الحرية التي تتمرد على الخير حين تهوى الشر - وللحرية ولعمري
بالشر أحياناً - وتتمرد على الشر في روح خيرة، عندما يضيء
الخير كيانها: الحرية التي تتمرد على نفسها، فتستعبد نفسها،
ذليلة، لقاء لقمة، حين تشاء، أو تثبت بنفسها، فتأبى التنازل
عن كرامتها، وتعجز قسوى الأرض عن إذلالها وإخضاعها!
الحرية، التي تنشده العبودية حرة، هرباً من أعباء نفسها - أو
تتمناً بلذة العبودية: - ثم تنتفض على العبودية بقوة الرمق الباقي
من نفسها في نفسها! الحرية التي تأبى أن تقاس بالمقاييس، أو
أن تخضع للوثرات والعوامل؛ وتتجلى في كل لحظة بثوب
جديد، لا تتوقعه أنت، ولا تتوقعه هي، ولا يُحصَر في نطاق
سوى نطاق الحرية الذي لا يُحصَر!



... إذا ما وقفت أمام الطبيعة، في شتى مظاهرها
ومزايها، خاشعاً، شاكرًا، ذهلاً: فعد إلى نفسك، تجد في
نفسك من المزايا، والجلال، والخير، والعطاء، والإعزاز، ما
يفوق الطبيعة بل يزدري بها! الإنسان! ابن الطبيعة، بل
فلذة من فليذات الطبيعة، بل عبدها: - وسيد الطبيعة، يتعالى

عنها في جلال كيانه، ويفوقها في منطويات نفسه، ويهزأ بها في
ثمار خلقه وابداعه!

- ٢ -

وإذا وقفت أمام الله، في خشوع المتعبد؛ وجشوت أمام
الخيبرات المنبثقة عن مشيئته، والنور المتلاهي من روحه؛ والمحبة
المتدفقة عطفاً وغفراناً وعطاءً من محض كيانه، والخلق المتعري
في الطبيعة وفيك من ثمار قوته؛ والجلال المتبدي في تحنازه؛
والكبر، المزداد كبراً، في اتضاعه؛ والقوة الجبارة المتفتحة من
فيض روحه :- إذا ما وقفت، انساناً أمام الله، إلا فاعلم ان في
تعبدك وخشوعك تقديراً للوهة ينطوي بجد ذاته على بعض
عناصر الالوهة . . . وان في توبك لله، وللقاءه، جذوة من
الله، فعالة في نفسك وثابة . . . وان في ايمانك بالله، واستسلامك
الحر لمشيئته، فيضاً من الحرية هو قبس من حرية الله، يأبى الله
نفسه، ويعجز لو شاء، عن إذلالها وقهرها . . . وان في قبورك
الغفران من الله، وتقبلك العطاء، بروح العطاء والاتضاع،
كبراً هو صدى للإله الجاثم في نفسك . . . وان في لحظة

لقيامك بالله ، اكتمالاً لعناصر الالهة الاجنوبة في كيانك ،
وتحقيقاً للالهة الراقدة في صميم انسانيته ، ومشاركة منك
الله في قوته وقدرته ، تجعل منك - وانت القزم على
سفوح الطود - سيداً للطود تأمره بان ينتقل الى البحر فينتقل
صاغراً ا

فانت ، ايها الانسان - مخلوق الله بمحض نعمة الله ، مستمد
سحوك فوق الطبيعة من فيض لقيامك بالله - انت تشارك الله في
الخلق والحب والعطاء ، وتسمو ، بالله ، الى انسانية فيك لا
تهدا إلا ان تستقر في احضان الله ، صورة له ومثالاً ا

- ٣ -

بازاء الطبيعة تقف ، ايها الانسان ، عبداً للطبيعة ، متعالياً
عنها ، متفوقاً عليها ، سيداً لها . . .

وبازاء الله تقف ، ايها الانسان - يا مخلوق الله الضعيف ووايد
النفخة من روحه ، والكلمة من مشيئته - تقف مشاركاً لله
في الخلق والابداع والمحبة والعطاء . . .

فعد الى نفسك ، ايها الانسان ، واكتشف ما في نفسك من

قوى ونوازع ، وما في ضميرك من خير ، وما في انسانيتهك من
حب وايمان وثقة وجلال ، وما في وجودك من خصوبة وثراء ا
عد الى نفسك ، وكن نفسك ، بلء نفسك . . .
واني اقول لك : ان الانسان ، متى ادرك انه انسان ،
فليس سوى القوة المستقرة في اعماق انسانيته - قوة الاتضاع -
ما يستطيع انقاذه من شذوذ نشوة الاعتزاز و كهيباء الجلال ا

... وفي الشقاء

- ١ -

... وهلاً وقفتَ تراقب المادّة الصّماء البكّماء ، التافهة
الوضيعة : فنظرت اليها انت بازدراء ؟ عد الى نفسك ، ايها
الانسان ، تجد فيها من الضعة والصغر ما يُجفلك لدن المقارنة !
ففي حفنة التراب جمال لا يعيه التراب ؛ وللوردة عبير لا
تذوقه الوردة ؛ وللأفلاك جلال لا تتشمع امامه الافلاك !
ولكن اين هذا كله من جهل الانسان بنفسه ، وبمزاياه الغنية
السامية ؟ !

الطبيعة تجهل لانها لا تستطيع ان تعي : اما الانسان ، اذ
يجهل ، فيجهل على الرغم من ان الوعي جزء من طبيعته ا
الطبيعة التي لا تعي ذاتها ، تظل هي هي ، رغم افتقارها
الى وعي ذاتها : اما الانسان الجاهل نفسه ، ففي جهله انقراض
لانسانيته ، وفي افتقاره للوعي خفض من مقام إنسانيته التي الى
وعيا هو مدعو !

وأىُّ مشهدٍ آلمٌ على النفس من مشهدِ الإنسان، لا يدرك
عمق مضمون إنسانيته، ولا يُحيط بعناصر الثراء التي ينطوي عليها
كيانه ؟

خيرُ الإنسان أن يكون فلذةً من الطبيعة، لا يفوقها ولا
يسمو عليها - من أن يكون ذلك العقل النير، وتلك الإرادة
القديرة، وتلك الحرية الخلاقة، وذلك الحب المعطي، وذلك
الإيمان القائم في صميم القلق، وتلك الثقة تحملها اجنحة
الاطمئنان غنوجاً في اجواء التوتر والتناقض والشك : فلا يعي
أيُّ كائنٍ هو، واية الوهة تحثوبها احشاؤه ا

خير الإنسان أن يكون كمّاً ومقداراً في الحجم والمكان
والزمان، وحسب - من أن تحيط نفسه بالازل، ويحقق في وجوده
اللانهاية، ويتعالى عن اوضاعه وعن نفسه؛ ثم يهبط رتبةً،
فيتبخر الازل في قبضة يديه، وتتلشى اللانهاية من وعيه،
وينتهي كمّاً حقيراً، يتلهى، وتتلهى به رواية الزمان، لحظةً من
الزمان تافهة ا

الإنسان، في ما هو، في إنسانيته، مهبط للوحي، ومقر
لحلول الحق والخير والجمال، وحرية خلاقية مبدعة، وعطاء
سخي في الحب، إنه مهد ثراء لا ينضب؛ وخصوبة لا تدبيل
والإنسان، إذ يفقد اعتزازه بإنسانيته، وتذوقه ثراء نفسه،

يتدنى الى وهاد ادنى من الطبيعة البكاه التي تبرز خصوبة
ثرائه من احشائها

ان الانسان الذي لا يمي انه اكبر من حفنة الصفر التي
تتسربل بها انسانيته، لأصغر من صغرها : فحين يعجز الانسان
بانسانيته، وينمي منظوياتها، يحقق عناصر الخصب فيها
والثراء، وحين يفقد هذا الادراك، ونشوة الاعتزاز بما هو،
يتدنى الى مرتبة اخفض من مرتبة المادة التي هو مدعو للتعالي
عنها بما هو !

- ٢ -

وفي وهاد هذا الجهل بانسانيته، بل، ثرائها، يدور
الانسان على نفسه دورة مفرغة : تنتهي فيها مأساة جهله، بتعاسة
الفراغ وشقاء التفاهة

في اعماق الانسان توق الى الكينونة، وتزوع للوجود
انها صدى للقيم الجائئة في نفسه، انها اللهفة الملازمة، في نفسه،
توقه لان يكون نفسه ا ولولا هذا التوق، لما استطاع الانسان
ان يحقق ملء وجوده .

وحين ينعدم الوعي بالقيم الاصيله، وتتلشى خصوبة

انسانية الانسان من نطاق ادراكه ووعيه، يجول ذلك التوق
- ذلك التوق المتجه، في حالة الانسان السليم، نحو القيم الحقة -
يجول ذلك التوق عينه جولاته المفرغة، ليتشبث بالاعراض مطمئناً
له دون الجوهر!

فاذا بالقشور له ملهى؟ واذا بالتوافه قيم؟ واذا بالانسان
يتمرغ، في الحضيض، ينهش في الحقارات ليقنات، ويقبل على
الصغارة ليعاو، على ركابها، نحو كبر مشوه!

وحين تنخفض بصيرة الانسان، وتتحول عن الآفاق
البعيدة البعيدة - آفاق البطولة والقدسية والخلق والحب -
لتنهت في عياء على الرقعة القريبة؛ وحين يجول الانسان نظره
عن فيض الضياء المنبعث من نور آفاقه البعيدة، ليكتفي بتمييز
الالوان والظلال على بصيص الشموع المحترقة وثيداً نحو الفناء؛
وحين تتعاص مطامحه وامانيه، فتحتضن ذراعاها المأموس لتعوضها
به عن الامل البعيد الذي تنشده النفس الاصيلة عبر مدى اللبس؛
وحين تتحول مقاييس العز والجلال، والمجد والمفاخر، الى قناعة
بالضئيل الضئيل من الجلال، وتنكسر للفخار : - حين يهبط
الانسان، من ذروة انسانيته، في قمم الوجود النابض بالحياة،
الزاهر بالقيم، الى وهاديتيه فيها توقعه بين التوافه، ويشبع فيها نهجه
بالضئيل : - حينذاك، تنتهي الدورة، المبتدئة بحمله نفسه،

الى تنكُّره لِأسمى . ا في نفسه ا
فاذا بالمال للانسان . طمع وغابة ، يكذسه ركاًماً يعتر
بجهمها ويفاخو بضخامتها واذا بالجاه للانسان ، قياس زائف ،
يقس بالنسبة اليه قيمة نفسه : فيقلص العار ، في شعوره ، من العار
بينه وبين نفسه ، وفي وجه ضميره ، الى العار في ثرثرة الناس ا ويتدنى
حسه بالكرامة ، من فخر يعتر به وحيداً امام نفسه ، الى اشكال
الكرامة المشوهة يخال فيها امام الناس ا واذا باقدام
الناس تزدحم نحو الملاهي ، مصرفاً لفيض التوق المنبثق من
نفوسهم في حالة الاصاله واذا بالحياة مسخ حياة : تنازع
على البقاء في سبيل البقاء ، ودورة رتيبة من العيش تقنع
بتفاهة العيش ا

- ٣ -

وفي مجال السعي نحو التوافه ، ينتفض روق الانسانية ، في
ساعات ملهمة ، وينتصب محاسباً غيوراً ، وحكماً قاسياً :
ويثور الضمير ، المطمور مدى من العمر طويلاً ، فيصرخ . تتحدياً
عنيداً ، مرأاً ، ويشير الى الآفاق البعيدة باياعة خرساء . بليغة :
ويتماهل التوق الأجداد ، ثائراً على التوافه التي قنع بها ،

والمنحصر في آفاقها الضيقة طموحهُ والحنين : ويستيقظ
 الانسان في الانسان، على مقارنة مؤلمة بين «واقعه» و «مثاله»،
 ليدرك الفراغ القائم في نفسه، والعدم الذي يجول هو في نطاقه . .
 في فراغ نفسه، لا يرى الانسان حوله سوى الفراغ : وفي
 جذب كيانه إفقارٌ لكل ما حول كيانه من ثراء . . .
 وفي هذا القفر الجاف، وفي هذه العتمة الخائفة، صدمة لرمق
 التوق والنهم في الانسان تنتهي به الى العقم . .
 ومتى انعدم التوق من كيان الانسان، فقد سقط في
 هوة من اللامبالاة المجدبة، فيبلغ شقاؤه حداً هو منتهى الشقاء.
 الا ! ان تعاسة الفراغ المجدب الذي قد يبلغه الانسان، لدى
 اكتمال هذه الدورة العدمية في نفسه، لا يضاھيه رهبة سوى
 سمو البركات والخبرات التي تتمخض بها انسانيته، وتحتجز نفسه
 لقتوفها فيضاً متدفقاً سخياً !

— ٤ —

شقاء الانسان هوة سحيقة، تشد به باغراء، وتحيط به في
 مجرى حياته، من جراء جهله بنفسه وبنطوياتها الثرية، وهو عنها
 بالتوافه، وانتهاؤه الى فراغ كئيب مقفر !

ولكن للشقاء مجرى آخر، لعله اشد من الاول هولاً!
الشقاء الاول وليد جهل الانسان بانسانيته : اما الثاني
فسببه وعي الانسان لانسانيته !
من النقص ما يولد الشقاء : ومن الامتلاء ما يولد الشقاء !



ففي احشاء « الملء الانساني » خطر كامن على هذا الملء
نفسه : وفي جوف الكنوز ما يعمل على إفقارها : وفي صميم
الخصوبة انزلاق يولد الجفاف فالعقم !

ومتى انسلخت قيم الانسان عن الإطار الذي من ضمنه
تقوم والمعين الذي منه تنبع ، فقد توقف تيارها عن التدفق !
ومتى اقبل الانسان ، بنفسه ، كوى نفسه التي يطل منها
على الله ، والحق والخير والجمال ، فقد حجب النور الذي يضيء
الجمال والخير والحق في نفسه ، وسلب القوة التي تحول « الله »
الراقد في نفسه الى اله وثاب حي !

ومتى عزل الانسان نفسه عن الاخذ والعطاء ، في تفاني
الحب ، فقد حط بجبهه الى انانية مغلقة ، وحول عطاءه الى اخذ
لن يلبث ان يأسن . . .

ومتى اغلق الانسان نفسه عن نطاق الروح ، الذي يشترك
روحه معه ويتصل به ، فقد قضى على الخلق والتوليد في

نفسه ، وختق الحرية المبدعة في صميم انسانية ! . . .

في هذه الدورة الالتفافية ، حيث يسمى الانسان لاستنزاف نفسه ، واستخراج كنوز من احشائها ، لا تنبع الا من جراء انفتاحه على عالم « الله » و « الآخر » « والروح » - يروح الانسان تحت عبء ثرائه المشوه الممسوخ ، ويسقط في عياء تحت حمل الخصوبة استتبعات عمماً . . .

تلك دورة ترمد الانسان على معين انسانيته ، وتشبهه بانسانية مبتورة ، عارية التشويه ، تتهرج فيها المفاتن لتستر عاهاتها فتزيد هذه العاهات وضوحاً ، وتبدو الفاقة منها سافرة صارخة ! تلك ثورة الانسان على الله والحق والنور : يؤله نفسه في كبر فارغ ، فينحط الى كهياء هي منبع الشر والاثم في نفسه ، ويتحكم في « الحق » ، ينتزعه من نفسه وقد اجذبت من الحق الاصيل ، فينقلب الحق في نفسه الى غرور المعرفة ، وتخرج البطل ، ومخادعة الجهل ، وسفسطة النسبية ، ويستعيض عن النور الحي ببصيص النور من نفسه المغلقة ، فينقلب نوره ظلاماً ، ويستمد حرارته وخلقته من معين نفسه ، وقد أقصاها عن صلاتها بالروح الذي يهبها الحرية والخلق ، فتتحول حرارته الى ترمد متعسف تائه ، وينقلب خلقه الى اجترار هو ملجأ العاقر لتستير فاقة نفسه ا

مَا أَرَهَبَ الْإِنْسَانَ

ما أَرَهَبَ الْإِنْسَانَ !

تستوعب نفسه الحق ، والله ، والخرية ، فتسمو بها الى ذرى
الحب ، والايان ، والقدسية ، والخلق ؛ وتستوي في قنن
الكرامة والمجد والابداع . . .

وتجهل نفسه نفسه ، فيهوي الى دركات التيه المتخبط
بين التوافه ، والعممية تجول في حقول الفراغ عاقرة مجدبة ،
واللامبالاة بالقيم والثراء . . . او تسارع نفسه الى استنزاف
كنوز نفسها ، حاجبة عن نفسها ضياء الله والروح في كبرياء
الانعزال والانغلاق ، فيهوي الى دركات الشر والاثم واليقم ا

ما أَرَهَبَ الْإِنْسَانَ !

في انسانيته مجال رحب للكبر والسمو !

وفي احشاء انسانيته عدو يتربص : يجول كبره الى كبرياء ،
وسموه الى صغارة .

الانسان ، في الانسان ، هو مصدر العز والكرامة -

والانسان، في الانسان، هو مصدر التدني والانحطاط . . .
فما ارب الانسان !

- ١ -

الانسان كبراً وصِغراً . . .

الانسان اله يحن لله، ويلتقي به في اعماق نفسه، فتتدفق
من نفسه خيرات النور والحب والقدسية والحريية . . .
الانسان مادة، فلذة من الطبيعة، صماء بكبياء، مسخرة لحمل ما
في نفسه من كنوز، ونقلها وادائها . . . والانسان قرد، شر
وإثم وفجور، لهو وعبت، لا مبالاة وعقم، انانية وحقد،
عبودية واستعباد، شهوة متضورة ولذة نهممة . . .

الانسان لحظة من الزمان تسمو على الزمان لتضم الازل،
ولحظة من الزمان تسارع مع الزمان نحو الفناء !

الانسان ثقة وایمان - او قلق ولهفة - او عبت ولا مبالاة !
الانسان وحدة وانسجام - او تمزق وتفرق شتيت من
الاجزاء على نفسها، وفصم عرى، وبعثرة قوى، وتناقض نوازع
وارادات !

الانسان كم ومقدار، حفنة من المادة في متسع من المادة

هو الكون بضعف تافه في طبيعة جبارة ضخمة : والانسان روح ،
لا تقاس بالمقدار ، وتهزأ بالكم ، وتحقق في نفسها وميضاً من
الوجود يفوق الوجود كله !

الانسان - يبني دولة بارادته ، ويقوض اركان دولة
بكلمة من فيه : وقذف به لسعة عقرب الى جوف الفناء .
الانسان - تذلل الاماني الكبار رخيصة امام قدميه :
ويدلل امام الله الفارغ في صغارة !

الانسان جزء - جزء ناقص ، مبتور : جزء من المجتمع ،
جزء من الكون . والانسان كل كامل : كل في نفسه ،
فوق المجتمع وفوق الكون !

الانسان عبد : عبد الطبيعة ، وعبد المجتمع ، عبد الشهوة ،
وعبد الطموح ، عبد الجهل ، وعبد الشر والاثم ، عبد نفسه ،
وعبد حرية ، والانسان حر : ينتفض من سربال عبوديته ،
يحطم القيود والاصفاد ، وينطلق ليلبي الدعوة الهاتفة في نفسه
تدعوه ليكون نفسه !

الانسان « عزلة » ثرية ، فيها السلوى ، وفيها العزاء ، وفيها
الابداع . والانسان عزلة مجدبة ، فيها الانانية ، وفيها الفاقة ،
وفيها الضجر يلتمس السلوى ، والخوف ينشد الاطمئنان . . .
والانسان « اجتماعية » ثرية ، فيها الحب يبذل نفسه حراً لغير

الحبيب، والخير خدمة وتعاوناً، والحكمة نوراً يتولد عن
الإحتكاك والتفاعل، والإنسان «اجتماعية» شوهاء، تقيد
هويته بالإصفاد، اصفاة الدولة والرأي العام وثرثرة الفوغاء،
وتقضي على فذوذيته فتحوّله كماً في مجموع ووحدة نكرة،
وتقضي على اصالته وتلقائيته وعفويته لتجمدها بمقاييس المجموع
والآخرين!

هذا هو الإنسان في حقيقته!

الإنسان ثنائية وازدواج!

الإنسان ثنائية تتعانق المأساة فيها مع الكرامة، والتمزق
مع الجبور، والتناقض مع الانسجام!
الإنسان ثنائية لو لم تكن، لما كان الإنسان!

- ٢ -

الإنسان ثنائية المادة والروح، يلتحبان معاً فلا ينفصلان،
ويتفاعلان معاً فيتحول كل منهما عن طبيعته المجردة، ويتخذ
ماهية تستمد من التحامها بالآخر صفة خاصة! فالمادة، في
الإنسان، «جسد»، يحمل الروح ويؤدي رسالته وينقل انفعالاته
ويعبر عن اختلاجاته، فيختلف عن المادة المحضة... والروح

في الإنسان ، روح تقوم في جسد ، روح تناضل لتظفر
بالغلبة على الجسد ، روح تعبر عن نفسها بواسطة الجسد ، روح
تكتسب من نضالها وغلبتها وتعبيرها ماهية غير ماهية الروح
المحضة ا

والإنسان ثنائية بين الخير والشر ، يستقر ان في روحه ،
ويعبر ان عن نفسها في تعبير الروح في الجسد : ففي نوع
الإنسان ، و ارادته ، توق يتجه نحو الخير ، فينبجز الخير ظفراً على
نوازع الشر المحيطة به باغراء ، وتوق يتجه نحو الشر ، مختاراً ،
ليحقق الشر رغم النزعة للخير المستقرة في احشائه !

- ٣ -

والإنسان ثنائية بين الداخل والخارج : الإنسان ، في
اصالته ، وحقيقته ، هو الإنسان الداخلي ، هو عالم النوازع والنوايا ،
والافكار والاحاسيس ، والحالات الوجدانية ، والآلام والاهالي ،
والحرية والاختيار ، والحالات الوجدانية المختلفة ، يعانيتها في
باطنه ، وتقوم هناك ، وتدور ، وتحقق . والإنسان ، في تعبيره ،
ونقله ، وبواحه ، انسان « الخارج » و « المظاهر » ، تجول الكلمة
في باطنه فتنتلق نطقاً ، وتندفق النوايا من باطنه ، سلوكاً في عالم

الخارج واعمالاً، وتبهر الافكار عن نفسها اقوالاً ونظريات،
ويتجلى كيانه - كيانه الباطني الاصيل - في «عالم الخارج»
مظاهر واشكالاً! في داخلياته الاصلية الفذة، وفي خارجيته
التشويه والانعكاس المتكسر والاستعباد للاوضاع وخضوع
الفردية لاعتبارات المجازاة!

- ٤ -

والانسان ثنائية بين «الفردية» و«الشخصية»: الفردية
عنصر «غيرية» سلبية، والفرد فرد لانه «غير» الافراد
الآخرين؛ واما الشخصية فذاتية، ايجابية، تشير الى نفسها في
عمق منظوياتها وخصوصية ثرائها... الفردية هي السربال والاطار،
والشخصية هي المنظويات والمعاني والمضامين... الفردية كم
ومقدار، ووحدة عددية، وجزء: اما الشخصية فنوع، ومضمون،
وكل فوق العدد والكثرة... الفردية تفريقي وتميز، والشخصية
فردية وفرادة!... الفردية هي «الجزئي»، يجسد «الكل»
بالاعراض: واما الشخصية فتجسيد فردية «الكل»، يمتاز
على اي تجسيد آخر امتيازاً اصيلاً... الفردية قواها الجسد
الفرد: والشخصية قواها فرادة الروح والارادة والحريّة

والذاتية ! . . . الفردية فلذة من الطبيعة ، تنطبق عليها مقولات
الطبيعة في الكرم والعدد والمقدار : اما الشخصية ، فعنصر السعي
من الطبيعة ، ينقض على الطبيعة ويدخل فيها من عيائه ، ولا
يتدنى الى مرتبتها بل يحتفظ بازليته ازاء زمنيته . الفرد يعيش
في نطاق الخارج ، مظهراً من المظاهر : واما الشخص ففي ذاتيته
منطويات ثرية لا تتجلى الا لمن حقق نفسه كشخص ونفذ الى
اعماق الآخر كشخص ! . . . الفرد يعيش في عالم من المواضيع
والاشياء : واما الشخص ، ففي عالم شخصي تدور حياته ويحقق
نفسه ! . . . الفرد شيء ، والشخص قيمة ! . . . الفرد يتشبه
ببقائه : واما الشخص فحياته ووجوده سعي مستمر وحنين
نهم لرتبة من الكيان الحر السعي من البقاء ! . . . الفرد يعيش
في عزلة ، هي ابتعاد مكاني او زماني عن الآخرين ؛ او في
اجتماعية ، هي تقارب مكاني زماني منهم : واما الشخص ،
فمزاته تلتحم التحاماً وثيقاً مع اجتماعيته ، وتتضمن احدهما
الاخرى وتعمكسها - ففي عزله فيض من الفنى المتأني عن
التفاعل المتحاب ، وفي اجتماعيته انعكاف على النفس في عزلة
لا منقرضة ! . . . الفرد ، في عزله ، اناني ، وفي اجتماعيته منقرض
مضمحل : واما الشخص ، ففي عزله بذل وعطاء ، وفي اجتماعيته
إثراء لنفسه وفيض خصوبة !

والانسان ثنائية «الانسان» و«سوى الانسان» : فهو انسان في نفسه ، في صلب ماهيته ، في كنوزه من قوى ومواهب . . . وهو انسان في ما يحيط به من اطار من القيم والقوى والكائنات . . . وهو انسان فقط في «وضعه» ضمن هذا الاطار وتلبية عناصر نفسه لنداء القوى والقيم والكائنات القائمة خارج نفسه :

في صلب انسانيته انعكاس للكون بأسره ، على تباين عناصره ومراتبه : في صلب انسانيته الله ، والطبيعة ، والقيم ، حقاً وخيراً وجمالاً ، والحرية . . . تقوم ، رغم تباينها ، في وحدة وتضافر وانسجام . . .

وفي صلب انسانيته دعوة للقيام هذه الكائنات ، والتفاعل معها ، والانسجام بها ، والاثراء بواسطتها . . . وفي انسانيته قوى تطل على هذه العناصر المستقرة خارج الانسان - فلا يكون نفسه الا اذا انفتح عليها والتحم بها ، وتفاعل معها ، وابي نداءها . . .

ولكنه انفتاح لا يتم حقاً ، ما لم يكن انفتاحاً من الداخل ،

يحفز ما في الداخل ، من عناصر انسانية ، تعكس عناصر الكون كلها

الانسان ، لا يكون ، كإنسان ، إلا حين ينفتح على « سوى الانسان » في اعماق داخله : يصغي لندائها وهو نداء من نفسه ، ويأبى نداها في نفسه

الانسان لا يكون نفسه الا اذا خرج من نفسه ضمن نفسه ، خرج من نفسه بنفسه ، ليكون نفسه وقد اكتملت عناصرها وتبلورت كنوزها ، فاعطت ثمارها !

الانسان ثنائية « الانسان » و «سوى الانسان » : فثى عزل الانسان نفسه عن سواه من عناصر الكون ، انتهى في قفص من نفسه ، هو السجن لا الاعتناق ، والعبودية لا الحرية ، والفاقة لا الثراء ومتى نظر الانسان الى تلك العناصر كعناصر خارجة عن نفسه ، لا تستوي في نفسه ولا تنعكس ؛ ومتى نظر الى النداء الهاتف في اعماقه للقياتك العناصر ، كنداء ينبعث من الخارج ، لا كنداء ينبعث من اعماقه ، تلبية لما في اعماقه من انعكاس لسوى الانسان من عناصر الكون - فقد فقد الانسان نفسه في شبكة « اللا انسان »

الانسان على شفير الهاوية اللا انسانية : يقذف نفسه في جوفها متى حجب نفسه عن « اللا انسان » ، ويقذف نفسه في جوفها متى ارتقى

في احضان اللا انسان، غير مدرك عمق الاشتراك بين الانسان
فيه و« اللا انسان»، وغير واع احتواء نفسه على سوى نفسه،
وغير عالم بكيئونة نفسه نفسه بفضل احتوائها على سوى نفسه .
الانسان علاقة بين الانسان و«اللا انسان»: وهو هو طرفا
العلاقة - هو الانسان وهو «اللا انسان»، يستقر في نفسه، ويبعث
فيها نداء باطنياً ملحاً، ويجفز فيها توقاً وتاباً وحنيناً !

. . .

الانسان ثنائية الانسان وسوى الانسان : وهو انسان
فقط في «وضعه» ضمن هذا الاطار، وتلبيسته لنداء القوى والقيم
والكائنات، القائمة خارج نفسه، من ضمن نفسه !
تلك هي الحقيقة الكبرى - حقيقتك، ايها الانسان !
تلك انت وانا !

فما ارب الانسان، في غنى امكنياته، في تعاسته، في
ثنائيته وتناقضاته، في وحدته، في طريق صيرورته كينونته،
وتحقيق صيرورة !

مِلَّةُ الْحَيَاةِ

في سباق الحياة - الخلق والابداع

الحب - الله - المحرمة

هذا الكائن الرهيب - انت وانا - على ماذا
تنطوي نفسه ، وماذا يحقق في نفسه ، في جلال
وجوده ، يوم يكون انساناً باصدق معنى
وارقى مرتبة ؟

فيم تقوم كرامته ؟ واين تعرى القيم والمفاخر
في حياته ؟ وفي اية زوايا تنقر انسانيته الاصيله ،
وقد ابعث ثمارها وتجلت كنوزها وشع ضياؤها
. ينمر الكون بمن الشيد : « اني انسان ! » ؟

في سياق الحياة

في سياق اجتماعية الانسان يتبدى لون من الران انسانيته
مضمخاً بظلال ثرية تشع فيه من زوايا كيانه المختلفة، فتزيد
في هذا اللون غني ووفرة اشراق .

هي زاوية واحدة، زاوية اجتماعيته : بيد ان اطراف
الشخصية المتبدية فيها، تنبثق عن الشخصية بكاملها، وحدة
منسجمة انسجام «الانا» في عفوية النطق بها وتلقائية وعي ذاتيتها !
ولا تتحين هذه «الشخصية» الفرص لتتبدى في غناها
وعمقها : فان الشخصية التي لا يتجلى نورها، ويتعري جرورها،
الافى المناسبات الخاصة، لشخصية مجزأة، مهاملة البنيان، غير
اصيلة الكنوز، وغير منسجمة النوازع والقوى، وغير عفوية التجلي !
بل ان الشخصية تتبدى ، وتتبدى كاملة ، في كل خطوة
على طريق الحياة ، وفي كل مرحلة من مراحل الوجود انها
تتبدى ، وتتبدى كاملة، في الجد واللبو، في الملهمات والملذات،
في العياء والراحة ، في المحبة والكراهية ، في الصراع كما
في التراخي ، في العطاء كما في الاخذ ، في الترف وفي
الفاقة ، في الازمة وفي فترة الحياة الرتيبه ، في القلق والاهمة
والتوتر ، كما في الاستقرار والاطمئنان . .

ان الكنوز متى توفرت في اعناق الكيان ، لا تلبث ان تتجلى في كل لحظة من لحظات الحياة .

وان كل فرصة تمر في حياة الانسان ، هي محك لانسانيته بشمول بنيانها وبحقيقة جوهرها .

ومن اتقن حجب حقيقته بقناع زائف من التستر في مناسبات معينة ، فلن يلبث ان يسفر حتماً عن وجهه الصحيح في فلتة لسان ، او هنيئة اصالة ، او عفوية عمل ، او ايااة او حركة - مهما كانت ضئيلة الشأن عرضية - تبدو منه قبل ان يتصنع في ابدائها ، ويتحکم في شكائها وعيه ا

- ١ -

في سياق حياة الانسان الاجتماعية يتجلى « وجدانه الاجتماعي » ، ويتعين مدى تأصل هذا الوجدان :
ومن عاش في مجتمع ، غريباً عن آلام ابنائه واهاليهم ، بعيداً عن احساسهم واراداتهم ، متجففاً عن العمل في سبيل خلاصهم ، ومتجنباً البذل في سبيل ايسادهم - من عاش في مجتمع ، ولم يهب لدرثه من مكرهه ، او لانقاذ كرامته من عار ، او للمساهمة في رفع مقامه واعلاء شأنه - من عاش في

مجتمع ولم يتحمل كافة مسؤولياته المتولدة عن اشتراكه في
حياة هذا المجتمع - من عاش في مجتمع ولم يفعل في نفسه
« الولاء الاجتماعي » ، بكامل معناه ومستلزماته وشروطه
واجباته : فقد عاش انساناً مبتوراً ، لا ينعم بكرامة الانسانية
الجامعة في نفسه ا

ومن لم يشعر « برسائله » الى المجتمع الذي يعيش فيه -
رسائله الفذة الفريدة ، يؤديها هو ولا يستطيع سواه اداءها -
رسائله في انهاض مجتمعه من زاوية ليس من ينهضه منها سواه -
رسائله نحو مجتمعه شيئاً كان ام صالحاً ، ناهضاً كان ام راقداً ، كريماً
معززاً كان ام ذليلاً ، عامراً بالحيوية الوثابة كان ام رازحاً تحت
كابوس الخمول واللامبالاة ، قانعاً بالذل ، منتظراً حكم الاقدار
في مصيره ، كان ، ام متوثباً لتسطير المجد بانامله ، واعتلاء
المفاخر سلباً للخلود ، واثقاً بنفسه كان ، ام متمسكاً على اقدام
الآخرين يستجدي منهم حقه بالبقاء : من لم يشعر برسائله الى
مجتمعه - كائناً مجتمعه ما كان - فعالة على مجتمعه قد عاش ،
وعالة على نفسه الاصابة عاشت نفسه الزائفة ا

ان الوجدان الاجتماعي ، « والولاء الاجتماعي » - الجابيين
في فعاليتها ، بناءين في اتجاهها ، فائضين بالحبة للمجتمع بعينه
ولسواه من المجتمعات - - لكن مستلزمات الانسانية انسان : ومن

ملئها تشع حياة ملائى بالنضال والتضحيات، والكرامة، والنبل .

- ٢ -

وفي سياق حياة الانسان الاجتماعية تفاعل^١ ومعاملة مستمران، تزخر بها هذه الحياة .

ومن هذا التفاعل يتم إثراء متبادل للأشخاص الذين يكونون اطرافاً في هذه العلاقات «الاجتماعية الشخصية» - إثراء، وليد الصداقة وما تحمله من تعارف متبادل، وخدمات متبادلة، ووليد الحُصام والاصطدام، والعداء والكراهية؛ وليد الاشتراك في التفكير، وتبادل الآراء، والاتصال الفكري الروحي المثمر؛ وليد المؤسسات والمنشآت، تفيض بالخبر والخدمات؛ وليد التراث المشترك، والعادات العامة، والمفاهيم الموروثة والمشاركة، والنظم والتقاليد؛ وليد هذه الشبكة المعقدة التي تكون مجموعها حياة اجتماعية واحدة، رغم تباين عناصرها واختلاف الواثها .

وتستطيع الحياة الاجتماعية ان تكون مصدر إثراء خصب حين تنبثق حياتها عن احترام للشخصية كريم؛ كما تستطيع ان تكون عاملاً على الكبت، والافقار، والنشوية، حين تستهين بكرامة الشخصية وحقوقها وحرقيتها وقيمتها الداخلية .

والحياة الاجتماعية السليمة، والانسانية بحق، هي التي يتم
 فيها التفاعل « الشخصي » بكامل مضمون هذه الكلمة :
 فمن حقق ملء شخصيته، تفاعل مع الآخرين تفاعل
 « شخصي » و « شخصي »، في احترام ومحبة وتعاون - لا
 تفاعل « شيء » و « شيء »، في ازدراء واستئثار وانانية : وتحوّل
 المجتمع، بفضل هذا التعاون، من مجموعة شبه بشرية (« مجموعة
 افراد ») الى مجتمع بشري اصيل (« مجتمع اشخاص ») .

- ٣ -

وفي سياق الحياة الاجتماعية، القائمة ضمن اطار « التفاعل
 الشخصي »، تبرز فضائل متعددة، تحوّل هذا التفاعل الى
 فسحة للبناء الذاتي المتبادل، وللخير والاحترام والمحبة !
 في تفاعل الانسان والانسان - خطوة خطوة، ومرحلة
 مرحلة، وفي كل نوع من انواع الفُرَص والعلاقات والمناسبات -
 مدى تحقيق الانسان لانسانيته، واثرائه لشخصيته :
 في هذا التفاعل تقوم « المحبة » :
 المحبة : لا تكبره، بل تتأني وترفق، وتبادل الاساءة
 بالفقران، واللؤم بالكبير؛

المحبة : لا تضن بالعطاء، ولا تتردد في البذل : وحين تجود، يكون عطاؤها فائضاً سخياً رغم الفاقة والعوز. والعطاء حين يتم عن وفرة، اخفض قدراً منه اذ يتم عن حاجة ا والمحبة : لا تعرف حدوداً، ولا نطاقاً يتوقف عنده تدفقها : بل تشعُّ سمحاء على الانسان حيث كان؛ وتتميز، في كل انسان، قريباً، قمد له يد العطاء السخية اذ يحتاجه، وتقدم له الاحترام ولو لم يستحقه، وتضمر له الخير بجل، الخير الجاشم فيها، وتشق به ثقة الاخلاص الهري، الكريم .

المحبة : خدمةً وتعاوناً، وتلبيةً للاستغاثة الحرساء قبل الاستنجااد الصارخ .

المحبة : ومقياسها أن الكبير كبيرٌ بخدماته وتضحياته؛ وأن العادل من تعدى العدالة الى المحبة المتسامحة الباذلة؛ وأن محترم نفسه من احترم غيره قبل نفسه؛ وأن المطالبة بالحقوق يجب ان لا تقوم الا بعد القيام بالواجبات .

ومن حائق ملء شخصيته، وشعت المحبة من نفسه، تفاعل مع الاخرين تفاعل نبل في المقاصد، وصدق في المعاملة، و كبر في النفس، واخلاص في الولا، ووفاء بالوعد يفرق الوعد، و امانة وتواهة وتجرد.

ومن حَقَّق ملء شخصيته ، وتفاعل مع الآخرين على هذا الصعيد من المحبة والكبر والنبل والكرامة ، وشع الخير من نفسه ، وتعزى في سلوكه ومعاملاته - فانما عن فيض داخلي من الخير والمحبة هو يفعل !

ان الخير الحقيقي لا يقوم في ما يتخذ السلوك من اشكال وما تتقيد به التصرفات من قوالب - بل الخير الاصيل يقوم في الروح المسيطرة في داخل الانسان ، تكيف تصرفاته ، وتحدد افعاله ، وتنبت عنها اعماله وحياته بكاملها .

ان الخير الحقيقي ليس في الافعال والسلوك بل في الروح الكامنة وراءها ، في مبعثها ومعينها ، في مجسمها الاول : في داخلية الانسان !

كم من شر ثوى في اعماق الانسان ، ولم ينطلق للتدمير ، خوفاً من عقاب - وكم من شر استقر في الاعماق ، ثم انطلق عملاً ، له ممة الخير وليس بخير ، طمعاً في ثواب . وكم من خير جثم في النوايا ، واستحال ، لدى الفعل ، الى شكل شر او صورة اثم :
« انما الاعمال بالنيات ! »

« لقد قيل : لا تزن . اما انا فاقول : ان من نظر الى

امرأة ليشتتها ، فقد زنى بها في قلبه ا »

القانون ، والشريعة ، والناموس (فرائض ونواهي) تتحكم

بالاعمال ، وتذر الروح الداخلية سائبة طليقة ، لا تقدها بالحفز

والإلهام ؛ تحكم على اشكال الاعمال في خارجيتها ، وتعمل

النواهي المولدة لها في مهد الاعمال الاول ومهينها الاصيل) - تفضل

مقصداً ، وتخطي . مروي ، وتسيء الى الانسان من حيث لا

تدري . . . تفضل في المقصد : لانها تتحكم في النتائج ، بينما

العلل ترتع في اجوائها طليقة ، تعصف فيها الآثام والنوازع سائبة

مستبدة . . . وتسيء الى الانسان : لانها تتيح له ان يلهو

بتكليف اشكال اعماله ، مرخياً لارادته ونوازع العنان . . .

وهي تسيء الى كرامة الانسان : لانها تنظر اليه ، ضمناً ،

نظرتها الى الآلة الطائعة المنصاعة لاحكام الشرائع ، بدلاً من

ان تتميز فيه كائناً حراً مبدعاً ، ان استقر الخبر في روحه فخيلاً

يفعل رغم كل قيد ، وان عصفت الاشم في نفسه فشرأ يشمر رغم

كل وازع !

اعمال الانسان وتصرفاته ولبده روحه الحرة تكون ،

ان كانت اعماله حقاً ، وان كانت بحق مقياساً للخير المهيمن على

نفسه : واما المجتمع الذي يحكم ويقاضي ، بالقياس الى

مفاهيمه ومصالحه ، وعاداته وثقاليدته ، واعتبارات الثروة التي
تلهو بها جماهيره وافراده ، والمراماة والمداهنة التي تفرضها
« خارجية » نظراته ، فيفضل ايضاً في مقصده ، ويخطي في فهمه
للانسان ، ويسىء الى الانسان من حيث لا يدري ا
ومن فعل طيف الخير ، انصياعاً لقانون ، او تجنب عملاً
نظر اليه المجتمع كشر ، فقد داهن القانون والمجتمع ، وامتن
كرامة ضميره وازدرى بجرئته ا ورب تتمرّد على قانون ، وثورة
على عرف ، في سبيل الدفاع عن حرية معتقده ، او اصالة شعوره ،
كان حقاً للانسان ، بل واجباً عليه ا ورب انزلاق في شر ،
بل ايمان وكامل حرية ، كان خيراً من اذعان لقانون فرض
الخير فرضاً ا

- ٥ -

وفي سياق حياة الانسان الاجتماعية مهمات وواجبات ،
تتطلب من الانسان حساً حياً بالواجب ، وإقداماً على تحمّل
المسؤوليات ، واقبالاً على المصاعب والعقبات بروحية النضال
المقدام المتوثبة .

أما الواجب ، فالحس به من عناصر النفس التي ، إذ تُفقد ،
تُفقد الإنسان غنى في النفس لا يعوّض . لأن « الواجب » صدى
المحبة في النفس ، ودليل الجرأة والتضحية ، ورمز النشاط
والفعالية : ومتى فقدت النفس المحبة والجرأة والنشاط ، فقدت
فعاليتها وإثارةها .

والحس بالواجب لا يكون حساً « تفرجياً » ، كاحساسك
بان السماء « يجب » ان تمطر بعد جفاف : وانما الاحساس الاصيل
بالواجب يقترن حتماً باحساس شخصي باعبائه على الانسان
نفسه ، وبالزاميته له بعينه ! اما « التفرج » و « الاتكالية »
والقاء المسؤوليات على عاتق الآخرين ، ومطالبتهم بعمل بدلاً
من الاقبال على تنفيذه ، فاشباحٌ نفعية كالحجة ، وسئل
كسول ، وجبن .

واما الإقبال على الواجبات بروح النضال ، فيتطلب
الادراك الواعي بان الطريق ، طريق النضال ، طويلة مستمرة ،
وعرة شاقة ، ملامى بالمفترقات العرارة ، والصدمات المفاجئة ،
والخفر والهبوطات ، والسهر فيها يتطلب صلابة لا تهادن ولا
تساوم طمعاً في راحة ، وتحمل المشاق لا يدغن لاغراء الطريق
السهلة ولا يسقط من اثر الصدمة ، ولا يخبو ايمانه ولا يفتر
نشاطه في جوف الفشل . . . انه يتطلب اخلاصاً ، وجرأة ،

واقداماً ، وتأهباً للتضحيات . . . انه يتطلب اداء الواجب
في سبيل الواجب ، لا طمعاً بفنم ، ولا هرباً من عارا . . .
انها البطولة : شرط لاداء المهيات ، والظفر والفوز . . .
وهي استقرت البطولة وثابة في صميم النفس ، تبددت من آفاق
الحياة غيوم دكناء من الكآبة والياس والكسل ؛ وانشق من
وراء الافق فجر ضياء ، غني الظلال ، يشرق على الحياة فتشع
الامجاد من جنباتها ، ويدفيء الحياة فتتضج ثمارها وتتعري
كنوزها . . .

انها البطولة : وما الانسان دون البطولة؟

الخلق والابتداع

في سياق الحياة الاجتماعية امتلاء، وإثراء، ينجس في العزلة ويشهر، وينضج ويكتمل : حالة كيانية غنية ، مشققة بالثمار، ملأى بالكنوز . . .

وفي صميم هذا الإثراء، توق للفيض، وحنين للتدفق، والهمة للأداء، تعبيراً وبواحاً . . .

هنا، ولد الخلق، بكراً، تتمخض به النفس بعناء المخاض، وتنعم بأبداعه النفس بنعيم التوليد :

هنا، ولد الخلق، في الإنسان، والتوليد : تدفقاً للكيان المتوثب في حالته الداخلية، وصورة له ومثالا .

هنا الخلق : شخصية مكتملة ملأى ترداداً اكتمالا بفيضها، وتكتسب اصالة في الامتلاء، بتدفقها .

هنا الخلق : شخصية موحدة الذاتية، موحدة اللون رغم تنوع الظلال، موحدة الامتلاء، في غنى الامتلاء : تتمخض، فتلد مما في نفسها - فلا يلبث ابداعها، وقد انتقل بواحاً في نطق او رسم او نغم، ان يتبعض ويتجزأ، ويستوي في قوالب من القول او الرسم او النغم . . .

هنا الخلق : حالة كيانية ثرية وثابتة ، في الاصل - ينتقل
عبر البواح ابداعاً مبعثراً : في نشيد او تمثال او نظرية او
قطعة موسيقى .



هنا الخلق : فيضاً محتماً ، يجول في النفس تواقاً للتدفق . . .
وهل يقوى الينبوع على كبت الامواه المختزنة في احشائه ؟ ام
هل تستطيع الشمس ان تحول دون انبثاق الضياء من امثالها
بالضياء ؟

هنا الخلق : تعبيراً وبواحاً :

مشوه مدسوس ؛ او صاف نقي ؛ او ذبذبة بين فلتة عفوية
صافية ، وكتلة من التشويه تخنقها بين ثناياها : واكنه ، في
كل حال ، تعبير ، وبواح . . . وفي كل حال ، صدى للترخم
المتوثب في الداخل ، في الاعماق ، يتلهف للبواح .



هنا الخلق : تنوعاً ، مختلف الظلال ، متعدد الوسائل ،
متباين المقاييس . . .

واكنه وليد الحالة الداخلية الواحدة ، يفيض في هذا
المجرى او ذاك ، وينقل - في اختلاف مجاريه - تلك الحالة
الاصيلة الواحدة . وهل تثمر التينة إجاباً وتفاحاً ؟ وهل

الاغنية ، في جواهرها ، سوى توأم الرقصة ، او التمثال ؟
اختلاف ثمار الخلق - فنوناً ، او فلسفة - اختلاف وسائل
ومقاييس ، ومجاريه : اما المنبع فواحد ، واما الفيض ففيض لا
يتجزأ في منبعه الاصيلي !

تنقل القصيدة الحالة الكيانية الاصيلية ، في كلام ، يتسرب
الجمال من ثناياه في مبنئ من الموسيقى والوزن والقافية . . .
وتنقلها الصورة ، خطوطاً وظلالاً . . . وينقلها التمثال ، جلال
شكل وجمال مرمرى وفكرة . . . وتنقلها الرقصة ، حركات
تنبض بالحياة . . . وتنقلها الفكرة عبر الكلمة وتراكيبها في
جملة فقياس . . . واكتنفاً حالة واحدة : حالة إثراء وتوق - فيها
الجمال ، وفيها الحق ، وفيها الخير ، وفيها لطف الحق والخير والجمال
للتنقل والبواح !



واما الخلق الاكثر ابداعاً ، والاكثر اصالة ، والاكثر
تمثيلاً للحالة الكيانية الاصيلية المتوثبة في اعماق العزلة والداخل
- فهي الحياة الشخصية بملئها واكتمال عناصرها ، وتنوع
ظلالها ، ووفرة ثرائها ، ضمن اطار وحدتها الاولى ، وعفويتها
المتأتية عن قربها من معينها الاول !
واما المبدع الاكبر ، فليس الشاعر ، وليس النحات ،

وليس الراقص ، وليس الفيلسوف في جلال حكمته : وانما
المبدع الاكبر هو الانسان في حياته ، في كل لحظة من لحظات
حياته الاصيلية ، الزاخرة بالكنوز ، الفائضة بالبطولة والحب
والقدسية ا

يكون الانسان نفسه ، خلاقاً ، في قصيدة او صورة ؛
ولكنه يكون نفسه باكمل معنى ، خلاقاً باسمى ابداع ، في
حياته ووجوده ا

الا ان اللحظة الواحدة من حياة الانسان ، حياته الحقة ،
قد تستوعب في القبضة من الاحاسيس والانجازات المحتواة في
اكتمالها ، كل جمال وحق وخير ، كل فن وفلسفة وجمال ا



هنا الخلق :

فاذا انقطع مجراه ، وتوقف تدفُّقه وشحَّ ينبوعه ، فاذا
يبقى من ثراء الانسان واكتمال كرامته ؟
الا ان الفاقة المجذبة ، اذ تقوم في النفس العاقرة فتقلبها
مجرة لا مبدعة ، ماسخة ناقلة لاعمية مولدة ، فارغة لا ملاءى -
ان هذه الفاقة هي مصدر هذا اليأس ، او الفراغ ، او
اللامبالاة ، او الضجر الكئيب : تقرأها في وجوه الناس ، وتلمسها
في تصرفاتهم ، وفي تلاشى طموحهم ، وتبدُّد حيوييتهم ،

وانخفاض بصرهم عن القيم العالية والآفاق البعيدة . . .
ان هذه الفاقة - انعدام القيم، وشلل القوة الدافعة
النابضة بالحياة - هي هي مهبط الفراغ في النفوس ينقلب
اقبالاً على الله، والله ينقلب لامبالاة، والامبالاة تنقلب
ضجراً، والضجر يتحول الى موت اثناء الحياة . . .



واما تجديد الفنون، وبعث الحكمة الحية، وحفز الاخلاق
نبلاً وطهارة واشباع خير - فمردّه في الدرجة الاخيرة تجديد
الحياة، واثرها في حب وبطولة وايمان .

الا ان الانسان، الحبي، هو في حياته المبدع الاول !

الحب

في سياق الحياة الاجتماعية، وامتلاء الحياة الشخصية، لهفة
عزلة، وكآبة وحشة، وحنين إلى الامتداد، فاللقاء، والتحام
« الانا » و « الانت » التحام حب !



والحب غير المحبة :

المحبة إشباع خير، وعطاء : والحب التقاء « الانا »

« بالانت » ، في علاقة ادنى منظورياتها الخير والعطاء .

المحبة بذل يفيض على الجميع ، القريب والبعيد ، المعروف

والجهول - على الانسان كإنسان ، في « تجريد » « لا شخصي »

في تجريد عن شخصيته وقيمه و « منهوته » وذاتيته . واما

الحب فعلاقة شخص بشخص - شخص بذاته ، « بانويته » الفذة ،

بشخصيته الفريدة ، لا يُستعاض عنها ، ولا تُستبدل ، ولا تتساوى

مع الآخرين في شبه او مقام او شمع مساواة .

إسأل الام عن وايدها ، ولها من الابناء كثرة : هل يقوم

هذا ، في قلبها ، مقام ذلك ؟

وأسأل الحبيب عن حبيته : هل تستوي ، في قلبه وعقله

ونفسه، مع ايّ كان من العذارى، يزخر بهنّ الكون حتى
التخمة ؟

المحبة بشرية عامة، « لا شخصية » : واما الحب، فشخصي
الى ابعاد حدّ، انه « شخصي » قبل ان يكون « بشريا » او « انسانياً » :
انه مجثم التأصل الشخصي في الانسان، ودليل تأصل الوعي
الشخصي في اعماق الوعي الانساني .

في الحب « انا » و « انت » : واما في المحبة، فانا، وانت ،
وهو، وكل ما في اللغة من ضمائر، يُستبدل كل منها بكل ما
في العالم من امماء !



الحب تلبية اللفظة الظاهري في اعماق العزلة، اعماق « الانا » :
وهذه اللفظة، تعجز الحياة الاجتماعية، بكافة مسؤولياتها
وفضائلها - ويمعجز الخلق، بنعيمه ولذته - عن اشباعها
وإروائها !

انها لطفة « الانا » - لا تستقر ولا يهدأ توترها الا في احضان
« الانت » !

وهل « الانا » في صميمها، وفي اكمال تحقيقها، سوى
« الانا » في لقيائها « لانت » ؟

هي وحشة العزلة الكئيبة تعجز العلاقات الاجتماعية

الباهتة - تعجز الصداقة، رغم تأصلها؛ والمحبة رغم تدققها -
 يعجز الابداع، رغم ذشرته - عن اخاد نيران هفتها المتأججة .
 هي وحشة الغزلة الكثيبة - تتلف، تتلف، تتلف المروس
 الكفاء وليدها البكر - تتلف، تتلف الام لشفاء طفلها
 العليل - تتلف لجو الدف، والالفة، والحنان، الذي لا يتوفر
 الا في انبلاق النفس، من نفسها في الحب للقاء الحبيب .
 مقفورة هي الحياة بدون الحب : وجذب عاقر .
 وثرية هي الحياة، يوم يحفرها الحب، ويكسب اعماقها
 عمقا، وظلام وحشيتها انبلاج فجره بهيج .
 ثرية هي الحياة، في الحب، رغم آلامه ومآسيه، واتراحه
 واشجاناه : واما نشدان الراحة والاستقرار بتجنب الحب،
 فشأنه شأن نشدان الهدوء والاطمئنان بتجنب البطولة، وتجنب
 الفشل بتجنب الجهاد والطموح .



الحب حب شخص بعينه، حب «الانت» بكامل
 «انويتها» .

هو حب الشخص باعماق شخصيته كشخص :
 ليس حب هذه المزية فيه او تلك، هذه القوة او تلك،
 هذا التفوق او ذلك، هذه القيمة او تلك ؛

ليس حباً مزايًا وخصائصاً، أو امتيازاً وتفوقاً،
لا ينضب بنضوب المزاياء، ولا يزداد بتفتق نبوغ جديد؛
هل يتضائل عطف الام على وإيدها، إذ يتزلق في اشم،
أو يتبدى منه شبح حقارة؟

ليس الحب اعجاباً، وليس تقديراً، وليس تعلقاً بمزاياء
«لماذا، اذن، تحب هذه لا تلك؟» - يسألون في تعجبين.
واكنهم يخطئون موسى: فهل الحب بكامله سوى لغز؟
هل اللهفة، المتصاعدة بتصاعد الاكتمال في النفس، المزدادة
توتراً بازدياد الخسوبة والغنى في الاعماق - وهل «اللقيا»،
والدفء يشع من الالفة فيها - وهل الاقبال على المآسي في
الحب: هل هذه كالم سرى الغاز، يحار العقل في تحليلها،
ويقررها القلب بضياء اليقين؟ الحب بكامله لغز: فهل
يعاب عليه ان تكون خطواته الاولى محاطة بهالة اللغزية؟
الحب حب شخص بعينه، لا لمزاياء، ولا لخصائصه، بل
لانه هو!

اما حب الخصائص والمزاياء فطيف من حب الذات
والانانية.

واما الاعجاب فتعلق بالمزاياء، دون الشخص المحتويها.
حب الخصائص والمزاياء نتيجة نحوها، ويتعلق بها حيث استقرت؛

والاعجاب ينتقل من شخص لشخص ، حيث تتوفر مقوماته
مدى السمع والبصر : واما الحب فيأبى الاشراك ، لانه حب
شخص بعينه ، والشخص فذ فريد ، والشخص واحد لا يتكاثر
ولا يندمج ولا يتساوى بالآخرين !

في الحب قفزة من « الانا » الى « الانت » : قفزة كاملة ،
من اعماق الشخصية والوحشة والتفرد والعزلة ، الى اعماق
شخصية الانت ووحشته وتفرده وعزله .

ليست قفزة « تعارف » وحب ، وليست قفزة « تفرج » ،
وليست قفزة « اطلاع » - فضلاً عن انها ليست قفزة
« اعجاب » او « تقدير » :

بل قفزة « حب » !

هي عناية « بالانت » ، كما « المعنى » هو « المعنى به » ؛
هي اهتمام ، فوق اهتمام الصديق بصديقه ؛ هي عطف لا كالعطف ،
وحنان لا كالحنان : هي « حب » !

وهل يعاب ان « الحب » لا يُجدد الا بالتضاد ، ولا يوصف
سوى بنفسه ؟ هات لي شيئاً كالحب في الحياة ، اقرنه به ا هات
لي ، في سوى الحب ، بذوراً من بذور الحب ، احلل الحب
بالنسبة اليها ! اما والحب حالة فريدة في النفس ، فبيدهي ان
تأبى التحليل او الوصف الا بالنسبة الى نفسها !

هي قفزة « حب » : ومن لم يحب ، فليقنع بهذا التكرار
المبهم ، ولا أقنع انا بعبجزي عن وصفه له ا
أن تحاول ان تُقنع بالبطرانة من لم ينجح نشوة البطولة -
وأن تحاول ان تصور الابداع لمن لم تتمخض نفسه بالابداع -
لا سهل من ان تحلل الحب لمن لم يحب !

... هي قفزة « حب » هذه القفزة : ينكر فيها المحب
ذاته ، ويبدل نفسه ، ويعطي من صميم كيانه ، جواداً غير
محاسب وغير مبتغى شكراً وغير ناشدٍ تقديراً !

هي قفزة « حب » ، تفيض فيها النفس عطاءً ، وتسخر
بدلاً ، وتجود خدمةً وتضحيةً ، وتعود الى نفسها لتستيقظ على
ضآلة ما انجزته بالنسبة الى ما توثب في نفسها من توق للإنجاز !
هي قفزة « حب » : تتجسد في اقوال ، واعمال ، ولكن
أنتى للاعمال والاقوال ان تبوح بما في النفس من توثب للفيض !
هي قفزة « حب » : طيف من روح الله ، وبعث الله في

الانسان ا

هي قفزة « حب » : صفة في وجه العزاة ، والانانية .
هي تعدد الانانية واللاذكباش على النفس : يحار « العقل
الحسابي » في تعبيرها ، ويحار « المنطق » في تحليلها ؛ وينتصب
« واقعها » وانجازها في القلب اثباتاً اختبارياً لسموها ، وتديلاً

على غناها !

هي النفس تبذل نفسها : لا طمعاً في ربح نفسها ، ولا
طموحاً لنفعها

« من نشد نفسه خسرها ، ومن خسر نفسه في الحب
وجدها » تلك حكمة الاجيال في الحب : ولكن لحظة واحدة
من الحب تصرخ بما هو ابلغ من حكمة الاجيال ، تصرخ
وتقول : « بل من تأهب لانه يبذل نفسه دون ان يجدها -
من تأهب لان يخسر نفسه و ثرائها وعمقتها في الحب -
فذاك ، وذاك وحده ، هو المحب »

والحب اكرم من ان يضمن على النفس بنفسها من جرأء الحب !
فحين تعود النفس الى نفسها ، في كل لحظة ، نفساً محبة
باذلة ، تعود الى نفسها مثقلة بالكنوز ، كنوز لم يعرفها
سوى المحبين :

انها تعود وقد خبت معجزة « الثقة » ! ثقة المحب بالحبيب ،
ظفراً مستمراً على اغراء الشك وضغفاته : « طوبى لمن آمن
ولم يرو ! » قال المؤمنون ؛ اما الحب فيقول : « بل طوبى لمن
آمن على الرغم مما يرى ، مما يدعو الى الشك ! »

انها تعود وقد خبت معجزة « الصفح » و « الغفران » :

ليست منةٌ يُمنُّ بها المحب على الحبيب ، بل صفحاً تلقائياً ، وليست
بالصفح المسامح في كبر ، بل هي صفح ينسى الاساءة
ولا يتعرف اليها . . .

وإذا كان الغفران ، معجزة ، فإن تقبل الغفران معجزة ابلغ ؛
لان متقبل الغفران ، من الفافر ، ذليل ؛ واما متقبل الغفران
في الحب فشارك لباذله فيه ، كريمة

والنفس المحبة تعود من الحب ، والحب لها ضمير جديد ،
ومراقب محاسب فوق الضمير الزامية ، واكثر من الضمير أصالة ؛
الضمير يفرض على النفس واجباً ، واما الحب فينبثق منه
الواجب عفويلاً لا كالواجب ا

والنفس المحبة تعود من الحب ، خيراً وضاء ، لا يضر الشر
لاحد ، ولا يستطيع ؛ بل يشع خيراً من مل ، الخير في نفسه ا
والنفس المحبة تعود من الحب بمقاييس جديدة في الحياة ؛
لا تثبت بكرامة ازاء محب معتد على كرامة ، ولا تمسك
بجرية ازاء محب كابته للحرية ؛ بل تعود الى نفسها ، كريمة
في الحب ، وفي الحب حرة ا

الحب عامل إثراء ، يهب للنفس ما لا يستطيع سوى الحب
ان يهبه ؛

في الحب يشارك الانسان الله ؛ وهل الله سوى الحب ؟ !

الله

نشد الانسان الله منذ كان انساناً . . .

نشد الانسان الله في الطبيعة : تنوع وجوده ، ودقة نظامه :

ولكن الله لم يكن في الطبيعة . . .

نشد الانسان الله في جهوث الركان ، وعصف الاعاصير ،

وزجرة الزوبعة ، ودوي الرعد : ولكن جهوث الله لم يكن

في اي منها . . .

نشد الانسان الله في ضياء الشمس ، ووميض الهق ،

والتهاب السعير : ولكن نور الله وحرارته لم تكونا فيها . . .

نشد الانسان الله في رقة النسيم وشدة العصفور ، وجمال

الرياحين ، وعذوبة الماء ، ورقصة الجدول المنوج : ولكن رقة

الله لم تكن في اي منها . . .

نشد الانسان الله في اتساع الآيم وامتداد الافق : ولكن

رحابة الله لم تكن في اي منها . . .

. . . وانتفض الانسان ، وقال مع الساخرين : « اين

هو الله ؟ ان الانسان هو الذي خلق الله - في هنيهة ضعف

او لحظة التجاء، - بيد ان صوتاً داخلياً كذب هذه الصرخة
وسخر من هذه السخرية . . .

فماذ يفتش وينشد :

ونشد الانسان الله في المجتمع - في تقاليد عشيرة او
اسلاف عائلة، او اعتزاز سلالة، او عتو دولة : ولكن المشيرة
انقرضت، واستحالت العائلة الى سلف لا خلف له، والنحطت
السلالة ودالت الدولة . . . وظل الانسان ينشد الله . . .

ونشد الانسان الله في اعماق نفسه : نشده في الضمير يذجر
ويخز : ولكن الزامية الضمير لم تكن سوى صدق الله في
الضمير ا

فنشد الانسان الله في فنه وابداعه وفلسفته، وآله ابداعه
في الحق والخير والجمال : اكن الله ظل يتعالى، ظل مصدراً
للحق والخير والجمال، وللخلق والابداع .

. . . وظل الانسان في توقه وهفته . . . وظل في تضوره،

ينشد الله ا

وتراءى له ان الله قائم في مؤسسات تدعي تجسيده،
ورجال يدعون تمثيله - في طقوس تفرض سلباً للوصول الى
رضى الله، والتمتع بشوابه، وتجنب عقابه . . . وفي عقائد
تفرض شروطاً للايمان به، واستيعابه . . . وفي نواويس

وشرائع، تُفرض رشوةً له، وخداعاً لتستتر الشر الكامن في
النفس . . . وفي هياكل ومعايد، تُفرضُ على الإنسان، وعلى
الله، فلا يحلّ الا فيها، ولا يتراءى المؤمن الا بواسطة سدنتها
والقيمين عليها . . . واكن الله ظل بعيداً، بعيداً عن ان يقع
بمثل هذه العبادة الخادعة، والايان الباطل - بعيداً عن ان
تشبع لهفتة، او يرتوي ظمأ . . .

. . . وسمع الانسان صوتاً، رقيقاً، له طيف شعاع، ودفء
حرارة، ونبل اخلاص: صوتاً منبعثاً من الداخل، داخل نفسه،
شهادة حية على الوهة نفسه وجلال الله:

سمع صوت الحب: يدعو الى البذل، الى الخلق، الى الخير . . .
فايقن ان الله حب، وان الحب قبس من الله . . .
وايقن ان الله روح، وان الله قوة، وان الله خير، وان
الله جلال وحرية . . .

وعندما عرف الانسان نفسه، واصغى الى اعماق ما في
نفسه: عند ذلك عرف الله.

. . .

اسطورة هذه:

واكن رب اسطورة عتبت عن اعماق حقائق الوجود!



في صميم الانسان توق الى الله، لا يرتوي الا في احضان
الله :

شهادة الانسان، في اعماقه، ليست ابلغ من شهادة العقل
في قياساته واستنتاجات حسابه ومنطقه ؟
« لقد خلقتنا لك : وقلوبنا لن يهدأ قبل ان يجذك ا » :
بهذا الاعتراف، استهل احد قدماء القديسين « اعترافاته »،
فكان قوله صدى لانشودة يترنم بها كل قلب، ولو لم يهال بها
كل لسان !

وفي القلب حدس لا يدنو منه العقل، ولا ينطق به اللسان!
هو توق لله، شوهوه وقالوا: « انه هو الذي اوجد الله ا »
واضافوا: « ان الله اذن وهم وخرافة، خلقها القلب ارتاح
ويطمئن ا » وقد ضلوا يوم حسبوا ان شهادة قاب، طبعها الله
في القلب اذ اوجده؛ ولهفة قلب جعلها الله جزءاً من كيان
القلب؛ وایمان قلب جعله الله شرطاً ليكون القلب : - ضلوا
يوم حسبوا ان هذه صنو لاهم وتوأم للخرافة ا



في صميم الانسان توق الى الله لا يرتوي الا في لقا الله
الحقيقي :

واما الالهة الزائفة، من نار واهواه، واسلاف عشيرة،

وإله طقوس - أما هذه الآلهة الزائفة فقد انكروها القلب ولو
جئت امامها الاجساد، ونبذها القلب ولو لهجت بالتسبيح
لها الاسن !

في صميم الانسان توق الى الله الحقيقي :

روح ، الانسان في روحه به شبه . . . وقوة كالحب في
قوته رمز له ومثال . . . وعطاء ، فيض عطاء الحب قبس منه . . .
وخير ، ما الضير سوى صوته المتقطع . . . عدل لا يرتشي ،
وعطف لا يذل امام العدل . . . وحرية ، لا تذل لانها لا
تكبت الحرية ، ولا تفرض نفسها على حرية الانسان ، لئلا
تتنافى ونفسها اذ تتنافى وطيف الحرية في الانسان ! حرية ،
تأبى ان يؤمن بها الانسان مكرهاً او مخدوعاً ، او جاهلاً :
وتأبى الا ان يبلغها من ضمن اكمال حريته ابلغ اكتمال !



في صميم الانسان توق الى الله الحقيقي . . .

ولكنه - كتوق الانسان الى « الانت » ، في الحب -
ليست توقاً الى الاطلاع ، او التفرج : بل هو توق الى الالتحام
واللقيا :

انه الايمان - اعنى من الثقة ، واعنى من « الاعتقاد » : انه

الايمان ، لقيا الانسان في كليته ، بالله في حقيقته !

انه الايمان - الحب اقرب الى وصفه من العبودية او
العبادة . . .

انه الايمان - استسلام القلب والارادة لمشيئة الله . ليس
استسلام عبودية هو : بل استسلام مشاركة لله في الخير ،
وثقة الارادة الانسانية بحرية الله ، واكتمال حرية الانسان في
احضان حرية الله ، وادراك الانسان ان حرية الله (وهي القدر ،
وهي القوة تولد التاريخ) هي الخير لا ينجبوا ، ولا يخالطه اثم -
هي الحرية وقد اکتلمات « حتمية خير » ، وتعالى عن ان
تكون حرية متبورة قد تقود الى التعسف في شر ! استسلام
الانسان لارادة الله ، حرأ ، هو اکتمال حرية الانسان في
ذراعي الحرية المتعالية عن الحرية - الحرية البالغة « حتمية » النور
والعطاء والبركات !

انه الايمان - لقايا الانسان « بالله » دون وسيط ، ودون
معوونة من احد : لقايا الانسان في اعماقه ، من صميم لهفته
وتوقه - بالله ، مصدر الالهة ومصدر الانسان !

انه الايمان - ايمان شخصي ، يتم في الانسان دون وساطة ،
دون معونة انسان : يتم في الانسان بمجاهدته الشخصية ونضاله
الشخصي ، فلا يُتوارث ، ولا يُتناقل ، ولا يُستعاض فيه ايمان
انسان عن ايمان انسان آخر !

انه الايمان - لقيا الانسان بالله، في المخدع الداخلي، حيث
الله جاشم في الانسان، وحيث الوهة الانسان متوثبة للقيا الله
في المخدع الداخلي تتم - في القلب، والنوايا، والضمير - لا في
طقوس ونواميس، يستعاض بها عن اللقيا بجوهرها وحققتها
وهل يضرب الحبيب اي قالب راي طقس يتقيد به حبيبه في البواح
بحبه؟

انه الايمان - صلاة! ليست استجداء معونة، وليست
مطالبة بشواب: وانما هي لفته من القلب نحو الله في نفسه،
وسفر في القلب - اعتراف صامت بما في القلب - وتحنان حبه،
وتوق حبيب.

انه الايمان - فيض لقيا ووصال، يبدد الوحشة الكئيبة،
فيض ثقة واطمئنان، يبدد القلق والمخاوف، فيض صفح وغفران،
يبدد الشر، ما حصل منه، وما قد يحصل، فيض خير، يبدد
الفؤاد، ويطهر الضمير، ويشير دفيق التحنان والخدمة والعطاء
من خزان القلب وقد تطهر ووصفا . . .

انه الايمان - لقيا الانسان بالله، وتحقيقه للالوهة الراقدة في
نفسه، ومشاركته لله في ثرائه . . .

الحرية

... ومثل حياة الانسان - في فضائله وواجباته وبطولاته،
في خلقه وإبداعه، في حبه وفي ايمانه - هو مثل الحرية !
الحرية، كالشخصية بكاملها - اعماق النفس وكنوزها -
وحدة : تشع في البطولة بلون، فيه ظلال من الوان الزوايا
الاخرى كلها - وتفيض في الحب كذلك، وتتعمق في الإبداع،
وتتدفق في الايمان ! هي هي : شخصية الانسان : ان اطلت
من كوة، فقد اطلت كالأغبر مجزأ - ولو غاب في اشعاعه لون
على الالوان الاخرى وفاقها إشعاعا !



والحرية، صفة تلازم الشخصية، وشرط لها : لا يكون
الانسان، ان لم يكن حراً !
الحرية في الانسان هي عبء، صيره : مسؤوليته، تلازم «الانا»
كلها فاء بها، وكلها وعاءها، وكلها حقةها، وكلها تعرى طيف من
اطياف جلالها، او تجلى من ثرائها كثر !

الحرية هي عبء . مصدر الانسان : لهفته على « الانا » ،
 حسه بالمسؤولية ، مسؤولية نفسه ، اتجاه ضميره ، ونجاه ذلك « المجهم » ،
 الاكبر من ضميره ، يشعر به قلبه ولو تردد عقله عن ان يدعو
 « الله » ! الحرية هي « مسؤولية المصدر » ، عبئاً على ضمير الانسان
 ووعيه . يتهرب منه الانسان فلا يستطيع ، ويتنازل عنه الانسان
 فلا يلبث ان يدرك ان هذا التنازل لم يخفف عن عاتقه العبء ،
 بل جعل عاتقه كابوس التهرب من الاعباء ، الحرية هي مسؤولية
 الانسان عن نفسه : ومن تهرب منها ، فهو لا بد مدرك ، في
 برهة يقظة ، انه مسؤول عن تهربه عينه !



والحرية هي فرادة الشخصية وفذويتها : هي التي تختار
 طابع « الانا » ، فتقرر في اختيارها كل ما تختاره ، « الانا » في
 ما بعد ! . . . هي التي تجعل « الانا » انا و « الانت » انت !
 الحرية هي ، في الشخص ، شخصيته الفريدة : هي شخصيته بعمق
 تأثيرها ، وهوة « انويتها » !



والحرية هي شرط كل امتلاء :
 ما البطولة ، ان لم تكن حرية الإقدام على المخاطرة دون
 اكراه ؟ وما البطولة ، ان لم تكن ظفراً مستمراً ، في معركة ،

المناضل فيها حريةُ الذلِّ والإنهزام؟
ما الخير، ان لم يكن حريةُ الخير، وغلبةُ دائمةً على اغراء
الشر وحريةِ أتباعه؟

ما الفن، ما الفلسفة، ما الوجود بكامله - ان لم يكن
بواحاً حرّاً بجالةِ كيانيةِ حرة؟ وهل تقوم النشوة، او
الكتابة المهيجة - امهات الفن والخلق - الا في الحرية؟

ما الحب سوى حرية اللقيا، وحرية الفيض؟
وهل الايمان استسلامٌ اكراهٍ لمشيئة الله؟ وهل الله من
مشيئة، سوى حرّيته، التي تأتي ان تُحترم الامن فيض حرية
محترمٍ لها؟ يفرضون المعتقد على الانسان باسم الله، ويفرضون
الخير عليه، ويفرضون الطقوس؛ ولو اخلصوا الله اهلوا ان الله،
مصدر الحرية، لبعيد، بعيد جداً، عن الانتقاص من قدر الحرية!



الحرية هي الانسان :

هي عبء مصيره، هي مصدر فذوذيته، هي شرط الملء
في حياته . . .

هي ثروته الوحيدة التي لا يتنازل عنها، ولا يستطيع ا
حر هو الانسان - الا في امر حرّيته! حر هو
الانسان، الا في التنازل عن حرّيته! ولو رضي الاستعباد، فحراً

يرضاه : وفي قدرته على الانتفاض تحت اي نير ، وفي إباطه ان
يذل ، ابلغ شهادة على ان الانسان حر في «حتمية حورية» - حر
فلا يكون الا حراً !



الحرية هي الانسان في الانسان !
ليست الحرية من الخارج ما اقصد : بل الحرية في
الكيونة الداخلية الحرية في الإثمار والإثراء والامتلاء : عهد
سطة الخارج - قبل الحرية في التعبير والبوح : وللخارج عليها
سطة وسيطرة !

وليس الحر من كان وحسب حراً من سيطرة خارجية : بل الحر
من ابت حرته الداخلية ان تذل ، متى انعدمت حرته الخارجية ا
ورب حر في مفاهيم الناس ، كان عبداً في وجه نفسه :
ورب عبد رسف بالقيود ، والقي به في السجون ، وقيد لسانه
فلم ينطق ، وكبت يده فلم يحرك ، كان - لولا جلال الحرية
التي تأتي الهزء - كان يهزأ بمستعبديه : وفي ضميره توق
للخير لا يذل ، وفي نفسه فيض ابداع لا ينقطع ، وفي قلبه
حب وایمان انى للقيود ان تدنو من حرمتها ، وانى لعتمة السجن
ان تحجب عنها الضياء الداخلي !



... ولكن للحرية عيبتها، وخطورها، والمزلقا
فالحرية شرطها ان لا تُتخذ، إلا حرة، من تلقاء نفسها ا
والحرية طبيعتها، اذن، ان تعصف كالرياح حيث تشاء ا
ورب حرية نزع حرة نحو الشر، ولم تصغ لصوت
الضمير ا ورب حرية زافت عن النور، واتجهت، حرة، نحو العتمة ا
فماذا نقول؟ أنقيدها لنصوتها؟ وهل نستطيع؟
وهل، ان نحن قيدناها، ووجهناها، صحتها من الخطأ في
الذرع، والضلال في الاتجاه الداخلي؟

وهل نصون الحرية بالقضاء على الحرية؟
وهل تكون ثروة الانسان الكبرى، وحارسه الاول، لا
تصان الا اذ تُهدر، ولا تحرس الانسان الا اذ تُحرس ا
الحرية عبء، والحرية مغامرة!
ومن شاء تخفيف العبء، فقد نقض جلال المغامرة، وافقر
قيمة الانسان والحرية ا

الحرية عبء: و كعبء هي تستمر
ولا ينقذ الحرية سوى الحرية نفسها! ولا يصونها سوى
اكتمالها، في احضان الحب والله -
سوى تعاليتها الى علياء الحرية الكبرى، باستسلامها في
احضانها، لتستقر هناك، مع الله في حتمية الحب والخير والضياء ا

الحرية هي الانسان . وكالانسان بكامله ، هي ثنائية
كبار وصغير

والحرية مغامرة والانسان ، بل ، حياته ، منغمور في
مصيره وكيانه ا
فما ارب الانسان !

نداء الاعماق

دَعْوَةٌ

هي دعوة منك واليك !
هي نداء الحياة في اعماقك !
فان اعتبرتها صادرة عن سواك ، فلقد
اخطأت في فهمها ، وفي تليتها ضاللت !

ما ارهيك ايها الانسان !

ما اعجب جلالك ! وما ادنى الوهاد التي فيها تقذف بنفسك !

في جلالك كبير ، فكبرياء ، فسقوط !

وفي جهالك بكرامتك لهو ، فعدمية ، فلا مبالاة !

وفي حريتك - مصدر البطولة فيك والابداع ، وشرط

الحب فيك والايان - مغامرة ، قد تؤدي بك الى العبودية

حرة مختارة : حقارة ، وعقساء ، وانانية ، وجحوداً !

انسانيك ، بكاملها ، على شفير الهاوية : على شفير الانسانية !

وايس من يقذف بك فيها سوى انت ، انت نفسك ، وايس

من ينقذك منها سوى انت ، انت نفسك !

حريتك ، فوق هامتك تتدلى ، كالسيف مربوطاً مخيط من

تسيج العنكبوت : في كل لحظة قد ينقض - فتعصف بك

الحرية الى ادنى من مستوى المادة التي فوقها تستوي ، وعليها

تعتز في خيلاء !

وانسانيتك - واثن حقيقتها في ملء ثرائها - في توتر

تقوم ، وفي توتر تستمر !

إقض - على هذا التوتر ، تقض - على نفسك ! واهرب منه

تهرب منك نفسك ! فما ارهيك ايها الانسان !



وانت ، ايها الانسان ، امام «دعوة» - دعوة لتكون نفسك :
فان نظرت الى هذه الدعوة كدعوة من سواك ، فقد
صمت اذنك عن هاتفا الحقيقي !

وان لم ينطلق نداء البطولة والابداع والحب والايان
من اعماق حريتك ، فنداؤها اليك باطل ، وباطلة تلبيتك !
فاصغ في اعماقك جيداً لنداء الاعماق !

وانطلق ، ان سمعت النداء - وانه هاتف في اعماقك
حتماً - انطلق ، لتعال ، في التوتر وفي المغامرة ، على طبيعة ارضيتك
اسرارها ، لتستقر في احضان اله شهوت صوته الاجيال -

إنه يدعوك الى البطولة والابداع والحب والايان ،
إله استقر في نفسك ، كما تدعوك نفسك الى الارتقاء ،
ضمن نفسك ، اليه !